التقنيات الزمنيَّة
في القصة القرآنية
سورة طه أنموذجًا

د/ جوزاء مفلح ضيغم العنزي
أستاذ مساعد قسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون
جامعة حائل

التقنيات الزمنيَّة في القصة القرآنية سورة طه أنموذجًا

جوزاء مفلح ضيغم العنزي
أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل.
البريد الإلكتروني: Alanazi@uoh.edu.sa

ملخص البحث:

شغلت القصة القرآنية مساحة واسعة في أغلب سور القرآن الكريم، وقد وظّفت عناصر البناء القصصي بشكل معجز يتلاءم مع سياق السورة ومحققًا مقاصدها، وتُعد التقنيات الزمنية من أبرز تلك العناصر؛ لما تقوم به من وظائف في نسق التعبير، وتحقيق أغراض القصص، لذا جاء اختيار القصة القرآنية في سورة طه لتكون أنموذجًا لتحليل التقنيات الزمنية.

وقام البحث على مقدمة، وتمهيد تناول التعريف بالبناء الزمني للقصة القرآنية، وأقسام الزمن فيها، والتعريف بالتقنيات الزمنية، وثلاثة مباحث تضمن كل مبحث تقنيات أحد المستويات السردية، وهي: المفارقة السردية، الحركة السردية، التواتر السردي.

اعتمد البحث على الدراسة الوصفية التحليلية للتقنيات الزمنية السردية التي وظَّفها الخطاب القصصي القرآني في سورة طه.

الكلمات المفتاحية: القصة القرآنية، التقنيات الزمنية، سورة طه، المفارقة السردية، الوقفة، المشهد، الخلاصة، التواتر.

Chronological techniques in the Quranic story Surat Taha as a model

Joza'a Mufleh Dhaigham Al-Anzi
Assistant Professor, Department of Arabic Language, College of Arts and Arts, University of Hail
Email: Alanazi@uoh.edu.sa

Abstract :The Qur'anic story occupied a wide area in most of the surahs of the Holy Qur'an, and it employed the elements of narrative construction in a miraculous way that fits with the context of the surah and achieves its objectives, and the temporal techniques are among the most prominent of these elements. Because of its functions in the form of expression and the fulfillment of the purposes of stories, so the Qur'anic story was chosen in Surat Taha as a model for analyzing temporal techniques.

The research was based on an introduction, a preface that covered the definition of the chronological structure of the Qur'anic story, the sections of time in it, the definition of temporal techniques, and three topics that each topic included the techniques of one of the narrative levels, namely: the narrative paradox, the narrative movement, and the narrative frequency.

The research is based on the descriptive and analytical study of the narrative temporal techniques employed by the Quranic narrative discourse in Surat Taha.

Key words: the Quranic story, temporal techniques, Surat Taha, the narrative paradox, the pause, the scene, the summary, the frequency.

مُقَدِّمَة

شكَّلت القصة في الخطاب القرآني الكريم إحدى الوسائل للتعبير عن هدفه الأصيل –إبلاغ الدعوة– ولقد شغلت القصة مساحة واسعة في أغلب سوره، لكونها أبلغ الوسائل تأثيرًا في النفوس، وأكثر قبولًا لدى المتلقِّي، فالقصة القرآنية حقّقت درجة الفرادة وغير المضاهية، ومما يلفت الانتباه في القصة القرآنية توظيفها لعناصر البناء القصصي ومقوماته، كلٌّ حسب أهميته، وبالقدر الذي يتناسب مع سياق القصة، محققًا هدفها.

وللبناء القصصي عناصر ومقومات عدة؛ منها: الأحداث، وبنية الحوار، والصراع، والبنية الزمنية، والبنية المكانية وغيرها.

وأحد هذه العناصر المهمة في القصة البنية الزمنية، فالزمن هو الذي يجمع العناصر السردية الموجودة في الخطاب، مؤثرًا فيها ومنعكسًا عليها، فهو العنصر الأكثر فاعلية وتحكُّمًا في البناء القصصي.

ونظرًا لموقع البنية الزمنية في بناء القصة القرآنية، فإن موضوع البحث هو التقنيات الزمنية للقصة القرآنية في سورة طه.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من خلال بيان أهمية الزمان في القصة القرآنية، وكيفية توظيف التقنيات الزمنية توظيفًا دقيقًا بطريقة معجزة خادمة للغرض الرئيس في سورة طه، وكيفية وقوع كل تقنية موقعها الصحيح والمناسب وبالقدر المناسب.

أهداف الدراسة:

١. الإسهام في التأكيد على إعجاز القرآن بنظمه، وتأليفه، وبيانه.
٢. إبراز جوانب تفرُّد الخطاب القصصي القرآني في توظيف تقنيات الزمن.

أسئلة الدراسة:

١. ما أبرز التقنيات الزمنية التي وظُفِّت في البناء القصصي القرآني؟

٢. كيف أسهمت التقنيات الزمنية في تماسك البناء القصصي وانسجامه وعناصره؟

٣. ما المهام التي تقوم بها كل تقنية في السياق القصصي؟

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث أو دراسة تتعلق بالتقنيات الزمنية في القصة القرآنية في سورة طه، ولكن هناك دراسات تتعلق بالبنية الزمنية، منها: البناء الزمني للأحداث في القصة القرآنية: قصة موسى أنموذجًا، للباحث يوسف الطحان، بحث منشور في مجلة جامعة الموصل المجلد الثاني، العدد الثالث، ٢٠٠٨م. إشكالية الزمن في القصص القرآني، رسالة دكتوراه في جامعة جيلالي اليابس، للباحث بن ذهيبة طروش، ٢٠١٧، البنية الزمنية في القصة القرآنية للدكتور بشار إبراهيم نايف، طبع في دار الكتب العلمية.

إجراءات البحث وأدواته ومنهجه:

- اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي.
- اتبعت الباحثة في هذا البحث عددًا من الإجراءات العلمية المعروفة، منها:

١. عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢. توثيق النصوص والأقوال والنقول من مصادرها المعتمدة.

٣. رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني بما يتوافق ورواية حفص، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية داخل النص.

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج، ثم ثبت أهم المصادر والمراجع.

تناول التمهيد التعريف بالبناء الزمني للقصة القرآنية، وأقسام الزمن فيها، ثم أقسام التقنيات الزمنية في القصة القرآنية، وأخيرًا في بناء القصة في سورة طه.

أما المبحث الأول فتناول تقنيات المفارقة السردية.

أما المبحث الثاني فتناول تقنيات الحركة السردية.

أما المبحث الثالث فتناول تقنية التواتر السردي.

التمهيد

البناء الزمني في القصة القرآنية

يشكِّل البناء الزمني أهمية كبيرة في البناء السردي، فهو الخالق لإيقاع النص وانسجامه، والمسجِّل للأحداث والمرافِق للشخصيات، والمحدِّد لإطار القصة وبنائها الداخلي، لذلك عُدَّ العنصر الأكثر فاعلية وتحكُّمًا في البناء القصصي، وركيزة أساسية من الركائز التي يستند إليها، رغم أن الزمن اتسم بالضبابية والتعتيم، فلقد حيّر المفكرين والفلاسفة والأدباء فيه، لذلك نجده محور الجدال بينهم؛ لشدة ارتباط الإنسان بعنصر الزمن، ومحاولاته المتتالية منذ القدم في إدراك وفهم كنهه؛ بغية السيطرة عليه كباقي عناصر الطبيعة.

كما يعد الزمن من "أكثر الظواهر اللغوية تعقيدًا وأكثرها استعصاءً وانفلاتًا عن الحصر والتحديد"(١)، فالزمن "اسم لقليل الوقت وكثيره"(٢)، وبالتالي فهو قيمة مجردة مبهمة.

ولقد وظّف الزمن القرآن في الخطاب القرآني بطريقة معجزة تجاوزت مفهومنا الدنيوي، توظيفًا فريدًا لا مثيل له، توظيفًا قائمًا على الانسجام والمواءمة، فهو خطاب الحكيم، خالق الزمن والمتحكِّم فيه، فالزمن في القرآن يزداد غموضًا وصعوبة، حيث إنه يخرج عن تقديره الطبيعي في حياتنا الدنيوية، لذا يصعب تحديده على العلماء والمفكرين مهما بلغوا من العلم مبلغًا.

فزمن القصة القرآنية متسع، يمتد من قبل الزمن الإنساني، قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ

(١) الزمن في اللغة العربية ٢٣
(٢) لسان العرب:١٣/١٩٩

ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الكهف:٥١]، **والزمن في القرآن الكريم ثلاثة أنواع**[1]**، هي:**

ما قبل الزمن الإنساني (الأزلي): وهو زمن شهد خلق السماوات والأرض، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨].

الزمن الإنساني: وهو الزمن الذي بدأ بخلق آدم وينتهي بنهاية الحياة الدنيا وقيام الساعة، وهو الزمن الذي شهد الحضارات الإنسانية وقصص الأنبياء.

ما بعد الزمن الإنساني (الأبدي): وهو الزمن الذي يبدأ بقيام الساعة، وينقسم إلى زمن الحساب وزمن الثواب والعقاب، أي: الخلود الأبدي، يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨]، كما أن مقدار الزمن يختلف عن الزمن الدنيوي، قال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾ [سورة المعارج:٤]، فاليوم مقداره خمسون ألف سنة بدلاً من أربع وعشرين ساعة.

الزمن النفسي: وهو الزمن الذي يعتمد على إحساس الشخصية وحالتها النفسية التي تتحكم بمرور الزمن، سواء سرعته أو ثقله، وبالتالي فإن لكل إنسان زمنه النفسي الخاص به، فليس له مقياس محدد، فالانفعالات هي التي تتحكّم بالإنسان، وبالتالي تتحكّم بإحساسه بالزمن، ويسمى أيضًا بالزمن الذاتي والزمن الداخلي؛ لأنه يكشف إحساس الإنسان الداخلي، ومن ذلك ما جاء في أثناء قصة ذهاب موسى للقاء ربه في سورة طه، قال تعال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة طه:٨٤]، هذه الآية الكريمة تكشف الحالة الشعورية

(١) ينظر أدبية السرد القرآني ١٠٥

التي يعيشها موسى -عليه السلام- وزمن السرور والطمأنينة التي يشعر بها لحظة الوحي إليه.

وبعد أن تعرَّفنا على أبرز تقسيمات الزمن في القرآن، نلفت الانتباه إلى أن الأحداث في القصص القرآني لم تكن تخضع إلى منهجية السرد التاريخي أو السرد الفني المحض، فالقصص القرآني له منهجية، خاصة منهجية تؤسس لعقيدة متينة وتثبت وحدانية الله، فالقصة القرآنية نور يستضئ فيها المؤمن ويعتبر بما فيها من أحداث، فهي زمنية تختلف عن زمن السرد القصصي من تفصيل لأزمان الأحداث العادية، فسرد الأحداث يخضع لسنن الله التي أرادها، ومنهج القرآن حين يستعرض أخبار الأمم والأنبياء يسير وفق مقاصد معينة ونتيجة حاسمة، فخطية الأحداث جاءت للتدبُّر والتفكُّر لا تخضع لخيال أو مصادفة، قال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [سورة الأعراف:١٧٦].

وعند الوقوف على زمن القصة بشكل عام نجد أنها تجمع بين زمن القصة -زمن الحكاية- وزمن الخطاب -زمن السرد- ؛ فزمن القصة هو "الذي وقعت فيه الأحداث حقيقة أو تخيُّلًا، يحدّد وينتهي بنقطة، له طول مُحدَّد فعليًا أو اعتبارًا، وقد يرتبط بالتخيُّل، ويظهر هذا الزمن في المادة الحكائية ذات بداية ونهاية، إنها تجري مجرى الزمن، سواء كان مسجَّلًا أو غير مسجل"(١)، وهذا يعني أنه زمن يسير وفق الترتيب الميقاتي للأحداث، أما زمن السرد فهو "زمن متشظٍّ مخلخل غير خاضع للبناء الأصلي السردي"(٢)، أي: أنه زمن لا يهتم بمراعاة الترتيب المنطقي، ولا احترام تسلسل الزمن التاريخي الذي جرت فيه الأحداث، بل يتجاوز التسلسل المألوف بطرق شتى

(١) تحليل الخطاب الروائي ص٨٩
(٢) في نظرية الرواية ص١١

وأساليب متنوعة، مشكِّلًا نظامه الفني الخاص بواسطة تقنيات متعددة تؤدي إلى استباق أحداث مستقبلية واستحضارها قبل أوانها، أو استرجاع أحداث سابقة، أو حذف أحداث أو تلخيصها تسريعًا للسرد، أو الوقوف بتأنٍّ عند حدث موجز عملًا على إبطاء وتيرة السرد، وكل ذلك اقتضاءً لمقاصد يتطلبه السياق وتحقيقًا لغايات جمالية، تعتمد على قدرة السارد وتفنُّنه من خلال هذه التقنيات، يوصل رسائله ورؤيته للأحداث والحقائق، بأسلوب منسجم يربط بين وحدات البناء القصصي.

والخطاب القرآني خطاب متفرّد، وظّف هذه التقنيات الزمنية بطريقة متفرّدة لا سابق لها ولا لاحق، وفق أهداف دينية سامية تظهر فيها الجوانب الفنية.

وهذه الدراسة ستلقي الضوء على التقنيات الزمنية في القصة القرآنية في سورة طه، إحدى سور العتاق الأول، لا سيما وأن للخطاب القرآني في بنائه القصصي طريقة في عرض الأحداث وفي توظيف كل تقنية توظيفًا مختلفًا.

وتنقسم التقنيات الزمنية في القصة إلى: تقنيات المفارقة السردية، وتقنيات الحركة السردية، وتقنية التواتر السردي؛ أما المفارقة السردية فتحدث عندما يحدث التباين بين زمنية الحكاية وزمنية الخطاب لأسباب فنية وجمالية كما ذكرنا سابقًا، وهذه المفارقة أما أن تكون استباقًا أي: سرد الأحداث قبل وقوعها، وإما أن تكون استرجاعًا أي: تذكُّر حدث سابق عن الحديث الذي يُحكَى[1].

وأما تقنيات الحركة السردية فهي حركات زمنية سردية تأتي في طي الاسترجاع والاستباق، فالمدة بين بداية القصة ونهايتها تشهد تغييرات عدة من تعجيل وتسريع الزمن السردي أو إبطائه، ويكون ذلك من خلال تقنيتي

(١) جيرار جنيت، خطاب الحكاية ص٤٧-٥١، ترجمة: محمد معتصم -عبد الجليل الأزدي -عمر الحلي- منشورات الاختلاف- الجزائر، ط٣، ٢٠٠٠.

الإبطاء، وهما: الوقفة، والمشهد، أما الوقفة فهي تقنية تعطِّل السرد، فتفضي إلى إبطاء وتيرته أي: أن السارد يقف لوصف شخص أو موقف أو مكان أو حدث لضرورة يجدها(١)، أما تقنية المشهد أو الدراما فهي تقنية تعتمد على التركيز وتفصيل الأحداث وأبعادها، فتترك الأحداث تتحدّث عن نفسها دون تدخُّل من السارد، وتنقسم إلى المشهد الاستعراضي والمشهد الوصفي، وقد يتم الجمع بين القسمين؛ ونجد ذلك في حوار الشخصيات من مبدأ أن "المشهد الحواري هو محور الأحداث"(٢)، وبهذه التقنية يتعطّل الزمن الطبيعي للأحداث.

وبمقابل تقنيتي الإبطاء نجد تقنيتي التسريع، وهما: الخلاصة، والحذف(٣)، فبتقنية الخلاصة نوجز أيامًا أو شهورًا أو أعوامًا أو حتى قرونًا دون الدخول في التفاصيل، فبالتالي يقصر زمن السرد عن زمن الوقائع؛ وذلك للتركيز على أهم الأحداث أو الأحداث التي تخدم هدف السارد.

أما تقنية الحذف فتختلف عن الخلاصة، أنها تمر على فترة زمنية من غير تعرُّض للأحداث، وإنما إشارات محددة، فهي تقنية تقتضي إسقاط فترة من الزمن بما يخدم البناء القصصي، فيجد السارد أنه لا ضرورة لذكْرها.

وأخيرًا تقنية التواتر السردي، وهي دراسة تكرار الحدث على مستوى القصة.

(١) شعرية الخطاب السردي، ص١١١.

(٢) شعرية الخطاب السردي، ص١١٢.

(٣) ينظر بنية النص السردي، ص٧٦-٧٨؛ خطاب الحكاية، ص١٠١-١٠٨.

المبحث الأول

تقنيات المفارقة السردية في سورة طه

يقوم هذا المبحث بإلقاء الضوء على هذه الخاصية في البناء القصصي لسورة طه، مع مراعاة أن المفارقة الزمنية في القصة القرآنية ذات خصوصية متفردة؛ نظرًا لخصوصية القرآن الكريم، فهي قصة لها أهداف دينية ولها "حدود غيبية لا يمكن أن يبلغها أي جهد تأويلي بشري مهما أوتي صاحبه من نفاذ بصيرة وذكاء تفسيري"(١)، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٧]، كما أن البناء القصصي في السورة متعالق مع باقي قصص القرآن.

تقنية الاسترجاع:

من منطلق أن الاسترجاع هو استدعاء بعض الأحداث وإبطاء السرد لا جلّها، ينتج عن ذلك نمطين للاسترجاع؛ أولها الاسترجاع الداخلي، وثانيهما الاسترجاع الخارجي، وكلاهما كانا حاضرين في قصص سورة طه.

أما الاسترجاع الداخلي فهو استرجاع أحداث ماضية واقعة داخل مجال القصة الفني(٢).

ومن شواهد الاسترجاع الداخلي في سورة طه ما جاء في سياق سردها لقصة موسى -عليه السلام- في معرض تكليفه بالرسالة، ولقد بدأت الأحداث في السورة من خلال لقاء موسى -عليه السلام- بالله، ثم جاء الاسترجاع الداخلي في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى

(١) أدبية السرد القرآني، ص١٣٥

(٢) ينظر: خطاب الحكاية، ص٦٠.

وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [سورة طه:٣٨-٤١].

يكشف هذا الاسترجاع بداية قصة موسى عندما أوحى -ﷻ- لأم موسى أن تقذفه في اليم؛ لينجو من بطش الطاغية فرعون، ثم تتوالى عليه الفتن ويخلّصه الله منها جميعًا، فالاسترجاع يشير إلى "ما تضمنته هذه القصة من لطف الله به في كل فضل، وتخليصه له من قصة إلى أُخرى، وهذه الفتون التي فتنه بها، أي: اختبره وخلصه حتى صلح للنبوة وسَلِم لها"[(١)]، فوظيفة الاسترجاع تذكير النبي موسى -عليه السلام- بمنن الله عليه؛ ليعلم أنه في رعاية الله منذ ولادته، وليطمئن فؤاده، ويعلم أن الله معه في سائر أحواله القادمة.

أما الاسترجاع الخارجي فهو استرجاع أحداث واقعة خارج المجال الفني للقصة[(٢)]، ووظيفته "إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك، أو إشارة على سابقة"[(٣)].

ونجد في القصة السابقة نفسها عند قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة طه:٤٣]، استرجاعًا خارجيًّا، فطغيان فرعون وعلوه في الأرض سابق على قصة موسى عليه السلام، فبالتالي هو حدث وقع خارج المجال الفني لقصة موسى عليه السلام، ووظيفة هذا الاسترجاع بيان سبب بعث موسى عليه السلام.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الحزم، بيروت، ط٢٠٠٢،١م، ص١٢٥١.

(٢) ينظر: خطاب الحكاية، جرار جنيت، ص٦٦.

(٣) الفواعل السردية، ص٥٢.

والاسترجاع بنوعيه في القصة القرآنية له خصوصية منبعثة من خصوصية القرآن الكريم، فإذا عُدَّ زمن الوحي هو زمن الأحداث وقصص الأنبياء والأمم السابقة، تسرد على النبي –عليه أفضل الصلاة والتسليم– وعلى أصحابه رضوان الله عليهم، والذي أصبح بالنسبة لقارئ القرآن زمن استرجاع دائم، غير منقطع، كما هي قصص القرآن تعد استرجاعًا، كما مرَّ بنا من قصة موسى عليه السلام، وأيضًا قصة آدم مع إبليس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة طه:١١٥–١٢٣].

تقنية الاستباق:

تقنية الاستباق الزمني أو الاستشراف، ويُطلَق عليها السرد المتقدّم الاستطلاعي[(١)]، هي تقنية يقوم الكاتب من خلالها بالقفز إلى المستقبل وقص أحداث سابقة، وهي تسمح للسارد بالتلميح إلى المستقبل، وتتواجد غالبًا بصيغة المستقبل، وتسعى دومًا إلى تقديم رؤية مستقبلية.[(٢)]، ومن المُسلَّم به أن استباقات القرآن الكريم كلها محققة الوقوع.

وينقسم الاستباق الزمني إلى نمطين:

الإعلان الاستباقي: وهو استباق يُخبِر عن الأحداث القادمة التي سيشهدها السرد، وقد يقع هذا الاستباق على الفور في الإعلان قصير المدى، أو قد تقع الأحداث على المدى البعيد وهذا الأغلب، ويأتي الإعلان على قسمين، هما: الأول التمهيد وهو استباق زمني يقصد به التوقع لأحداث محتملة الوقوع، والثاني الأنباء وهو استباق يخبر المتلقّي صراحة عن الأحداث التي سيشهدها السرد، والغرض منه دفع القارئ إلى الانتظار[(٣)].

ومن شواهد الإعلانات الاستباقية ما جاء في قصة بعث النبي موسى في سورة طه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧﴾ [سورة طه:٩٧]، فهو استباق يخبر المتلقِّي صراحة عن الأحداث، وهو ما يُطلَق عليه الأنباء، وهو استباق قريب يخبر ويعلن عن مصير العجل الإله الذي صنعه السامري.

---

(١) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص٩٧.

(٢) ينظر: خطاب الحكاية، ص٧٦؛ والاستشراف في الرواية العربية، ص١١٥.

(٣) ينظر: خطاب الحكاية، ص٨١-٨٣؛ مدخل إلى نظرية القصة، ص٨٠.

وكذلك نجد استباقًا زمنيًّا لأحداث متوقعة وهو ما يعد تمهيدًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة طه:١١٥-١٢٠]، فقوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ جاء بمثابة تمهيد للأحداث التي فعلًا تحقَّقت وهي خروج آدم وزوجه من الجنة بعد أن استجابا لوسوسة الشيطان.

الطليعة الاستباقية:

هذا القسم من الاستباق يأتي بلا استشراف، ولو تلميحًا، لكنه يكتسي دلالته فيما بعد، أي: لغة سردية غير مباشرة، وهذا النوع من الاستباق يعتمد على كفاءة القارئ السردية المحتملة(١)، وقد يأتي على هيئة إشارات تمهّد لأحداث قادمة، أو على هيئة شخصية لم تكن موجودة في القصة(٢).

وفي طي قصة موسى في سورة موسى نجد طليعة استباقية جاءت على هيئة إشارات تضمّنها السرد في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾

(١) ينظر حكاية الخطاب، ص٨٤.

(٢) ينظر نفسه، ص٨٣-٨٤.

قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ [سورة طه:١٧-٢٢]. يقول الألوسي: "﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ شروع في حكاية ما كلفه -عليه السلام- من الأمور المتعلق بالخلق إثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه"(١)، وابن عاشور يرى أن "القصد في ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء، وأن الكلام الذي سمعه من قبل الله بدون واسطة متكلم معتاد ولا في صورة المعتاد، كما دلَّ عليه قوله بعد ذلك ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣﴾ [سورة طه:٢٣](٢).

فأمر الله لموسى -عليه السلام- بإلقاء العصا التي تحوّلت بعد ذلك إلى حية تسعى، والتي تعد معجزة اختص الله بها نبيَّه، إلا أن المتلقي يجد فيها إشارة إلى طليعة استباقية، لأحداث جديدة ورحلة للدعوة إلى الله يقوم بها نبي الله، كما أن هذه العصا سيكون لها مساهمة فاعلة في تحريك الأحداث، ففيها تم دحض السحرة بإذن الله، كما كانت وسيلة لنجاة بني إسرائيل من بطش فرعون حينما أتبعهم فرعون وجنوده، فقد أمر الله نبيّه بأن يضرب البحر بالعصا فانفلق فكانت نجاتهم وإهلاك الطاغية، كما كانت هذه العصا وسيلة لإنقاذ بني إسرائيل من العطش في الصحراء بأمر الله ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠].

ومن الطليعة الاستباقية في القصة ظهور شخصية هارون التي لم تكن موجودة في بداية أحداث قصة النبي موسى -عليه السلام- حتى لقاء الله -عز وجل-

(١) روح المعاني.
(٢) التحرير والتنوير، ٢٠٥/١٧.

وتكليفه بالرسالة، فطلب منه موسى أن يجعل له وزيرًا من أهله، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ [سورة طه:٢٩-٣٠]، فهذا استباق بلا استشراف يعتمد على لغة غير مباشرة، فشخصية هارون سيكون لها دور فعال في الأحداث القادمة من القصة.

وهناك تقسيم آخر للاستباق على نمط الاسترجاع الداخلي والخارجي، فيطلق الاستباق الداخلي على ذكر الحدث قبل مجيء أوانه، ويتحقّق هذا النمط من الاستباق في زمن القصة وقبل نهايتها، وهو ما تحدثنا عنه في الشواهد الآنفة الذكر، أما الاستباق الخارجي فهو ذكر أحداث قبل مجيء أوانها، لكنه تحققها يتجاوز المدى الزمني للقصة(١).

ففي قصة آدم مع الشيطان اللعين في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [سورة طه:١٢٣]، ثمة استباق خارجي في قوله: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾، يقول الألوسي: "لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد فالتعادي في الحقيقة بين أولادهما"(٢)، ففي هذه الآية الكريمة استباقات لأحداث تحدث في المستقبل القريب والبعيد على حدٍ سواء.

(١) ينظر خطاب الحكاية، ص٧٧.
(٢) روح المعاني ٥٨٤/٨.

المبحث الثاني

تقنيات الحركة السردية

ترتبط تقنيات الحركة السردية بالمدة أو ما يسمى بالاستغراق الزمني والذي يشهد تغييرات عدة في حركته من إبطاء وتسريع للزمن السردي، فلإبطاء الحركة السردية تقنيتان، هما: المشهد، والوقفة، أما تقنيتا السرعة فهما: الخلاصة، والحذف(١).

ولكل تقنية من هذه التقنيات وظيفة دقيقة على الصعيد الفني والمعنوي وفق تسلسل سردي متقن، ويجدر الإشارة إلى أن هذه التقنيات قد تأتي ضمن الاسترجاع والاستباق أيضًا.

أولًا: تقنيتا الإبطاء

١. المشهد:

هذه التقنية تجعل الأحداث تتحدّث عن نفسها دون تدخُّل السارد، ففي المشهد يكاد يتطابق زمن السرد بزمن القصة، وهو يقوم غالبًا على الحوار بين الشخصيات، فـ "المشهد الحواري هو محور الأحداث"(٢)، لكن الحوار الواقعي -كما يرى جنيت- قد يكون بطيئًا أو سريعًا، حسب طبيعة الظروف المحيطة، مما يستدعي مراعاة لحظات الصمت أو التكرار، مما يجعل التنبُّه إلى الفرق بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائمًا(٣).

سيطرت هذه التقنية الزمنية على أغلب سور القرآن، فتضمّنت مشاهد حوارية ممزوجة بمشاهد وصفية؛ وفي سورة طه تطالعنا المشاهد الحوارية الموجزة سريعة الإيقاعات، قصيرة الفواصل، متلاحمة مع بعض المشاهد

(١) ينظر: خطاب الحكاية ١٠١-١٠٨؛ وبنية الزمان والفضاء في قصص الحديث النبوي، ص٣١.

(٢) شعرية الخطاب السردي، ص١١٢.

(٣) ينظر: خطاب الحكاية ص ١٢٠-١٢١؛ وبنية النص السردي، ص٧٦.

الوصفية، فقصة موسى والتي استفتحت بحوار بين موسى وربه -ﷻ- من قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥﴾ [سورة طه:٩-١٥]، فالمشاهد الحوارية تخللها تبدُّل في أطراف الحوار وفي الشخصيات، فبالإضافة إلى الحوار بين الله -ﷻ- وموسى وتكليفه بالدعوة إلى الله تستمر المشاهد، فتظهر لنا شخصية هارون والسامري، وتبدأ مشاهد الدعوة والحوار بين موسى والطاغية فرعون والحوار بين موسى وأخيه وبين موسى والسامري، ولقد تضمّنت هذه المشاهد الموجزة استرجاعات واستباقات.

وفي القصة الثانية الواردة في سورة طه قصة آدم نجد مشاهد حوارية بدأت بين الله والملائكة ثم بينه ﷻ وبين آدم، ثم ننتقل إلى المشهد آخر وهو مشهد وسوسة إبليس اللعين لآدم، وبعدها ينتقل المشهد إلى خطابه الله -ﷻ- لآدم وإبليس في وجازة معجزة ومفارقة عجيبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ۝١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ

﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ [سورة طه:١١٦-١٢٥].

وثمة ملحظ جمالي في المشهد الحواري الأخير وهو المفارقة العجيبة التي ابتدأت في الدنيا وانتهت بالآخرة، فالسرد ابتدأ بمفارقة بعيدة المدى، ومع المشهد الحواري الذي سيطر على السرد تلاشى هذا المدى الواسع، وتلك الفواصل بين الزمن السردي وزمن القصة تقاربت حتى أصبحت شئيًا واحدًا.

٢. الوقفة:

الوقفة أو الاستراحة وهي تقنية تشترك مع المشهد في إبطاء السرد، فقد يتوقّف السارد ليصف شخصية أو موقفًا أو مكانًا، كما يقوم بعمل تفسيري يضيء الأحداث ويكشف الشخصيات من نواحٍ نفسية أو اجتماعية أو غيرها، فالوصف في الوقفة يعد "تقنية زمانية، بأبعاده الجمالية والدلالية لتشخيص الأشياء والكائنات"(١).

والقصة القرآنية توظِّف هذه التقنية توظيفيًا دقيقًا في موقعها المناسب مؤازرةً التقنيات الأخرى، ومحققةً الانسجام والتكامل الفريد للبناء القصصي البديع، فنجد الوقفة في القصة القرآنية تنقسم إلى وقفة وعظية ووقفة وصفية(٢).

ففي قصة موسى -عليه السلام- وفي طي مشهد موسى مع السحرة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة يونس:٦٥-٦٨]، وقفة وصفية

(١) بنية الزمان والمكان في قصص الحديث الشريف، ص٩١.
(٢) ينظر: أدبية السرد القرآني، ص١٢٣-١٢٤.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة طه:٦٧] "تكشف لنا الحالة النفسية لنبي الله موسى، يقول الألوسي: "أي أخفى فيها بعض خوف من مفاجأة ذلك بمقتضى طبع الجبلة البشرية عند رؤية الأمر المهول"[(١)].

وفي السياق نفسه نجد وقفة أخرى، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يونس:٦٩-٧٦]، فقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة طه:٧٤-٧٦]، يقول عن هذه الجملة ابن عطية: "قالت فرقة: هذه الآية بجملتها هي من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوا، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله -تبارك وتعالى- لمحمد -عليه الصلاة والسلام- تنبيهًا على قُبح ما فعل فرعون،

(١) روح المعاني ٨/٥٣٩.

وحسن ما فعل السحرة وموعظة وتحذيرًا"[١]، ويقول ابن عاشور: "هذه الجملة معترضة بين حكاية قصة السحرة وبين ذكر قصة خروج بني إسرائيل، ساقها الله موعظة وتأييدًا لمقالة المؤمنين من قوم فرعون، وقيل: هي من كلام أولئك المؤمنين. ويبعده أنه لم يحكِ نظيره عنهم في نظائر هذه القصة"[٢].

والقول بأن هذه الجملة معترضة أقرب للصواب -والله أعلم-، وبالتالي تعتبر هذه الجملة وقفة وعظية اعتبارية تأييدية لقول السحرة الذين آمنوا، وقد أوقفت العبارة الكريمة وتيرة الخطاب السردي الإلهي وأدّت إلى إبطاء حركته الزمنية، وحلّت محله لأداء مهمة جليلة هي التأكيد على عظمة موقف السحرة.

ثانيًا: تقنيتا التسريع

١. الخلاصة:

ويُطلَق على هذه التقنية أيضًا مسمى التلخيص والمجمل والإيجاز[٣]، وهي تقنية تستمد مدلولها من مسمّاها أي: تجمل وتوجز أحداثًا مدتها تتجاوز أيامًا أو شهورًا أو أعوامًا، وقد تصل إلى قرون دون الخوض في التفاصيل، بحيث يمر السرد مرورًا سريعًا على الأحداث بتركيز وإجمال، وبالتالي يكون زمن السرد أقصر من زمن الوقائع؛ لأن الخلاصة تعمل على "حشد الأحداث في فترة زمنية معينة ونقل صورتها العامة، ولا يتطبق هذا بالطبع على جميع الأحداث القصصية"[٤].

والإيجاز سمة من سمات الخطاب القرآني المعجز، والخلاصة تأتي في القصة القرآنية حسب سياق السورة ومقاصدها ومحورها الرئيس، والتركيز يكون على الهدف من ذكر كل قصة في السورة معينة، ومن ذلك ما جاء في سورة

(١) المحرر الوجيز، ص١٢٥٨.
(٢) التحرير والتنوير، ٢٦٨/١٦.
(٣) ينظر: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ص٣١٠-٣١١.
(٤) ملامح السرد القرآني، ص١٧٦.

طه، فلقد أوجز السرد القرآني أربعين سنة من حياة نبي الله موسى -عليه السلام-، تضمنت طفولته وصباه وشبابه إلى أن وصل مرحلة التكليف بالدعوة وأداء الرسالة، وقد تآزرت تقنية الخلاصة مع تقنية الاسترجاع التي سبق ومرت آنفًا في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[سورة طه:٣٨-٤٠].

وفي قصة آدم التي وردت في السورة الكريمة والتي بدأت بسجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس عن السجود وعصيانه لله -عز وجل-، فحذَّر الله آدم من عداوة إبليس له ومحاولة إغوائه، ونسيان آدم ومطاوعة اللعين، وبعدها قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة طه:١٢٢]، في إيجاز سريع لينتقل إلى مشهد الهبوط للأرض.

٢. الحذف:

التقنية الثانية من تقنيات تسريع السرد ويطلق عليها: القطع، القفزة، التجاوز، وهي تقنية ذهنية تستدعي إسقاط فترة من الزمن وعدم الوقوف على الأحداث والوقائع التي جرت فيها وكأنها ليست جزءًا من المتن[(١)].

وتأتي هذه التقنية حسب اقتضاء البناء القصصي، وحسب مقتضيات السارد وأهدافه، ولا شك أن تقنيتي الحذف والخلاصة تؤديان إلى إيجاز الألفاظ مع عمق الدلالة، وبالتالي تحقيق بلاغة الإيجاز السردي.

(١) ينظر: المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، ص٣١١-٣١٢.

وهذه التقنية كصاحبتها تكثر في الخطاب القرآني؛ لأن الإيجاز البلاغي من أبرز سمات الخطاب القرآني الأصيلة، ونتلمّسها في سرد سورة طه لقصة موسى –عليه السلام– التي تميّزت بإيجازها ومرورها على حياة نبي الله موسى – عليه السلام– منذ ولادته ومبعثه وخروجه من مصر، فالقصة في هذه السورة اتسمت بالإيجاز الشديد، فلقد مرّت على أزمنة أمضاها نبي الله، ومن ذلك قوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [سورة طه: ٤٠]، فلقد تجاوز السرد مجريات الأحداث في مدين، لمقاصد تقتضيها السورة الكريمة، وجاءت تفاصيل هذه المرحلة في سور أخرى.

المبحث الثالث

تقنية التواتر

التواتر هو دراسة تكرار الحدث على مستوى القصة، أي: العلاقة بين العملية السردية للحدث والتشكيل الزمني، ويعد "مظهرًا من المظاهر للزمنية السردية "[(١)]، وللتواتر أنماط، وهي[(٢)]:

١. التواتر المفرد، أي: رواية الحدث مرة واحدة الذي وقع مرة واحدة.
٢. التواتر التكراري، أي: رواية الحدث أكثر من مرة الذي وقع مرة واحدة.
٣. التواتر التعددي، أي: رواية الحدث مرة واحدة الذي وقع مرات عدة.
٤. الاطرادي، أي: رواية الحدث أكثر من مرة ما وقع مرات عدة.

وفي سورة طه نجد أن السورة تفرّدت بذكر اسم السامري الذي أغوى بني إسرائيل بعبادة العجل في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة طه:٨٥-٨٧].

كما نجد في سورة طه التواتر التكراري أي: رواية الحدث أكثر من مرة وهو الذي وقع مرة واحدة، ومن شواهده انفلاق البحر وغرق فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة طه:٧٨] .

ومن شواهده أيضًا أمر الله للملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس اللعين وتكبرُّه عن السجود، فهذه الأمر وقع مرة واحدة وروي عدة مرات، قال تعالى:

---

(١) خطاب الحكاية، ص١٢٩.

(٢) ينظر: معجم السرديات ص١٢٢؛ الزمن السردي في أنشودة المطر، ١٣٤-١٣٥.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾، فقصة آدم تكررت في القرآن سبع مرات؛ في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وص، وفي الشاهد السابق من سورة طه، مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة، ويعد هذا الوجه من وجوه الفصاحة، ودلالة على إعجاز القرآن، فالعرب عجزوا عن الإتيان بمثله بأي نظم، فتكرار القصص دلالة على عجزهم(١).

فتكرار الحادثة في القرآن بطرق لا تشعر القارئ بتكرار، بأسلوب بليغ شيق، تتناول جانبًا جديدًا من جوانب القصة، وتتواءم مع سياقات السورة التي يرد فيها.

أما التواتر التعددي الذي يُروى مرة واحدة ما وقع مرات عدة، وهذا النمط يعمد إلى تكثيف زمن السرد واختزال العملية السردية.

ومن شواهده في سورة طه ما ورد في قصة موسى –عليه السلام – من نصح هارون لقومه وتحذيرهم لهم من عاقبة الإقدام على عبادة العجل، وطلبه لهم بالعودة إلى رشدهم، في قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ [سورة طه:٩٠]، فتحذيره وطلبه بالعودة إلى الحق تكرر منه لبني إسرائيل إلى أن عاد موسى – عليه السلام– فتكرر الحدث وروي مرة واحدة.

أما التواتر الأخير الاطرادي، أي: تكرار الحدث عدة مرات وروايته عدة مرات، فمن شواهده ذكر إلقاء عصا موسى –عليه السلام–، فلقد تكرر هذا الحدث في سورة طه ثلاث مرات وروي ثلاث مرات: المرة الأولى عندما كلمه الله –عز وجل–، وذلك في قوله: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

(١) ينظر البرهان في إعجاز القرآن، ٢٧/٣.

[سورة طه:١٨-٢٠]، والمرة الثانية وقت مواجهة فرعون للمرة الأولى، ولم تذكر صراحة بل ضمن الآيات التي ذكرت في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة طه:٥٦-٥٧]، والمرة الثالثة في مشهد المبارزة مع السحرة في قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة طه:٦٩]، فنجد التطابق بين عدد حدوث إلقاء العصا وعدد الذكر.

وهكذا نجد أن جميع أنماط التواتر الأربعة تواجدت في سورة طه.

الخاتمة

بعد رحلة الدراسة والتأمُّل في سورة طه نقف على شيء من نتائج هذه الدراسة باختصار، وذلك كما يلي:

١. وظّف القرآن الزمن بطريقة معجزة منبثقة من إعجازه العظيم المتفرد، وتمثّل في هذه الدراسة الإعجاز البلاغي في توظيفه.
٢. انقسم الزمن في القرآن ثلاثة أقسام، هي: الأزلي أي ما قبل الزمن الإنساني، والزمن الإنساني الذي بدأ بخلق آدم وينتهي بنهاية الحياة الدنيا وقيام الساعة، والزمن الأبدي ما بعد الزمن الإنساني.
٣. هناك زمن آخر يعتمد على أحساس الشخصية وحالتها النفسية بمرور الزمن، ويُسمَّى الزمن النفسي، وقد كان حاضرًا في القرآن وفي سورة طه.
٤. الأحداث في القصص القرآني لها منهجية خاصة لخصوصية القرآن، فهي لا تخضع لمنهجية السرد التاريخي والسرد الفني المحض.
٥. وظّف الخطاب القرآني التقنيات الزمنية من استباق واسترجاع وإبطاء وتسريع وتواتر بطريقة متفردة لا سابق لها ولا لاحق وفق أهداف دينية سامية، تظهر فيها الجوانب الفنية، توظيفًا دقيقًا بطريقة منسجمة ومتوائمة مع مقاصد السورة، فكل تقنية من هذه التقنيات قامت بدورها المناسب وبالقدر المناسب.
٦. الاسترجاعات بمفهومها الدال على استدعاء الوقائع والأحداث في الزمن الماضي بنوعيها الداخلية والخارجية كانت حاضرة في سورة طه في قصة موسى-عليه السلام-، كما أن زمن الاسترجاع في قصة موسى وآدم الواردة في سورة طه كما في باقي قصص القرآن مستمر دائم؛ باعتبار أن قصص الأنبياء والأمم السابقة كانت تُسرَد على الرسول -عليه الصلاة والسلام- وعلى تالي القرآن إلى يومنا هذا.

٧. الاستباق أو الاستشراف سواء كان إعلانًا استباقيًّا أو طليعة استباقية أو استباقًا داخليًّا أو خارجيًا له شواهده في سورة طه، قائمًا بوظائفه الدينية والفنية على حد سواء.

٨. تشهد سورة طه تلاحمًا بين المشاهد الحوارية والوصفية، في إيجاز بليغ وسرد متماسك مشوق.

٩. الوقفة السردية في الخطاب القرآني تنقسم إلى: وقفة وعظية، ووقفة وصفية، وكان لها شواهد في سورة طه.

١٠. تقنيتا الخلاصة والحذف سمات أصيلة ثابتة للخطاب القرآني الذي أوجز قصص الأمم والأنبياء، بالإضافة إلى التعاليم الدينية والدنيوية في صفحات محدودة العدد لا متناهية الدلالة.

١١. التواتر السردي بأنماطه الأربعة: المفرد، والتكراري، والتعددي، والاطرادي، تواجد في سورة طه، محققًا مقاصد بلاغية وسياقية عدة.

ومما تجدر التوصية به دراسة الوقفة السردية في الخطاب القصصي القرآني في سورة طه، والوقوف على أغراضها الدقيقة .

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع

١. أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد، يوسف، رياض، رسالة دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
٢. الاستشراف في الرواية العربية مقاربة سردية في نماذج نصية، عبدالله صفية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج خضر، ٢٠١٣م.
٣. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، م: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ت.
٤. بنية الزمان والمكان في قصص الحديث الشريف، رسالة ماجستير، سهام سديرة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٦م.
٥. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، د.ط، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت.
٦. تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦م.
٧. خطاب الحكاية بحث في المنهج: جيرار جنيت، ط٢، ١٩٩٧م
٨. روح المعاني، الألوسي، محمود بن عبدالله، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
٩. الزمن السردي في أنشودة المطر، نجوى البياتي، سالم العقابي، مجلة دراسات البصرة، المجلد١، العدد ١، ٢٠٠٦م.
١٠. الزمن في اللغة العربية بنيانه التركيبية والدلالية: محمد الملاخ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
١١. شعرية الخطاب السردي: محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥م.

١٢. الفواعل السردية: دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة، البنا، بنان، ط: ١، الأردن، عالم الكتب/جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٩م.
١٣. في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد: عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
١٤. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ط: ٣، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٥. مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقيًا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
١٦. المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، رسالة ماجستير، أحمد رحيم الخفاجي، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣م.
١٧. معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين بإشراف محمد القاضي، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
١٨. ملامح السرد القرآني-دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية، يوسف حطين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.
١٩. الوجيز المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، عبدالحق بن غالب، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.